

الارتباط بالله

وجهاد النفس



أبو عبد الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

مركز الإمامين الخميني والمطهر

الارتباط بالله وجهاد النفس

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله درجاته)



تتميز:

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكُفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١).

يعيش الإنسان وفي جوارحه نفس تكتنفها وتتنازع فيها قوتان تتحكما في توجيهها: قوة تدفعها نحو الشر وأخرى تجرها نحو الخير، وعند رجحان قوة الشر تجبل النفس على القيام بأعمال الشر، وعلى مخالفة الأنظمة الصحيحة والضوابط الشرعية والعقلية وعلى فعل المحرمات وترك الطاعات.

وإذا تعرض الإنسان — عارفاً أو جاهلاً — إلى تأثيرات خارجية كما لو انتشرت في المجتمع أفكار أو تيارات أو أهواء ضالة تمنح بالنفس البشرية عن جادة الصواب والصراط المستقيم، فيؤدي الأمر بالإنسان إلى أن يعيش صراعاً عنيفاً بين قوة الخير والفضيلة وقوة الشر والرذيلة تنتصر قوة الخير تارة وتنحذل أخرى، حتى إذا وقعت في المستنقع الشيطاني واصطادتها شباك إبليس تحولت إلى أداة فاعلة من أدوات إبليس وجندي من جنوده — لعنه الله — عابثة في المجتمع ناشرة الفساد والإفساد وظلم العباد.

تبدأ هذه النفس الشيطانية — عادة — بزرع بذور التشكيك في كل شيء، تشكك بعدل الله عز وجل، وبرسله وكتبه، وبالقيم والتعاليم السوية، وبكل ما هو يؤدي إلى السعادة الحقيقية والأبدية في جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذي وعدهم صادق الوعد الرحمن الرحيم.

ثم إن الشرير لما يقوم بأعمال الشر ينري متهماً المجتمع بالانحلال والانحراف حتى يصل به الأمر إلى أن يتوجه باللائم إلى المولى عز وجل، بأنه هو الذي لم يهده إلى الطريق الصحيح، حاشا لله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً؛ فالله عز وجل رؤوف بالعباد وهو الحكيم الخبير، خلق الإنسان ومنحه العقل وأعطاه المواهب والقوة والإرادة، كما أعطاه العين الباصرة ومنحه القلب والبصيرة، هذا القلب الذي هو منبع العواطف ومصدر الاستلهام ومستودع الخير، فإن شاء الإنسان سخره في طريق الهدى وإن شاء سخره للضلال، حيث روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَلَهُ أَذُنَانِ: عَلَى إِحْدَاهُمَا مَلَكٌ مُرْشِدٌ، وَعَلَى الْأُخْرَى شَيْطَانٌ مُفْتِنٌ، هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَزْجُرُهُ، الشَّيْطَانُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعَاصِي، وَالْمَلَكُ يَزْجُرُهُ عَنْهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾» (٢).

(١) سورة الشمس: ٧-١٠.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢٦٦ ح ١.

فالقلب أعظم مفتاح يفتح به أبواب النفس، وهو جوهرة ثمينة، فإذا وقعت في يد فحام تكون في ظلمة العدم، وإذا وقعت في يد صائغ عظيم تكون في نور الوجود.

وقد أشار المولى القدير في كتابه المجيد إلى حالات متعددة للنفس الإنسانية:

فتارة يصفها بـ (الأمارة) ^(٣) وهي التي تمشي على وجهها تابعة للأهواء، وتارة أخرى ينعته بـ (اللومة) ^(٤) وهي النفس المومنة التي تلوم صاحبها في الدنيا على المعصية، وتلومه على التناقل في الطاعة. وهناك (النفس المطمئنة) ^(٥) وهي التي تسكن إلى ربها، وترضى بما رضى، فتري حامل هذه النفس عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر إلا بما أمر الباري جل جلاله، وهو مستقر في العبودية لا ينحرف عن الصراط السوي.

لذا يلزم على الإنسان المؤمن السوي العاقل أن يسعى دائماً إلى صقل النفس وتصفيتها وتطهيرها وتخليتها دنس الآثام والأحقاد. وهذا لا يتم إلا بالسعي والمجاهدة والمحاسبة اليومية، حيث ورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه» ^(٦). ويقوى على مجاهدة نفسه بالإجابة إلى الله عز وجل والتمسك بالكتاب الكريم والعترة الهادية (عليهم السلام).

ولابد لكل نفس أن تدخل طور اليقظة — بقظة الضمير — الذي يصقل النفس بقوتين: قوة الرهبة التي تجعل الإنسان يخاف من العقاب، وقوة الرغبة التي تجعل الإنسان يحلم بالشواب، وإذا امتلأت هذه النفس من هذا الشعور الواعي انتقلت إلى طور الإنابة والعزم الصادق على طاعة الله وترك المعصية، وأخيراً تدخل في طور التصفية من رواسب الذنوب الذي لا يتم إلا بالأعمال الصالحة الباعثة على توفير رصيد الحسنات وتلاشي السيئات.

والإمام الشيرازي الراحل (عليه السلام) يشير في هذا الكتاب إلى الطريق الواضح المستلهم من الآيات الكريمة والروايات الشريفة، الذي يجعل الإنسان يرقى بروحه ويعرج بعقله حتى لا يكون عبداً لشهواته وميوله النفسية.

الناشر

^(٣) انظر سورة يوسف: ٥٣. قال تعالى: ﴿إن النفس لأماراة بالسوء﴾.

^(٤) سورة القيامة: ٢.

^(٥) سورة الفجر: ٢٧.

^(٦) الكافي: ج ٢ ص ٤٥٣ باب محاسبة العمل ح ٢.

جهاد النفس: الجهاد الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

بين متاع الدنيا والآخرة

قال الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾^(٧).

(زَيْن) فعل ماضٍ مبني للمجهول، وقد ذكر المفسرون في فاعله وهو المزين^(٨) عدة وجوه: فمنهم من قال: إنه الله، وقال آخرون: بل هو الشيطان، وذلك بالاعتبارين كما لا يخفى. وبناءً على التفسير الأول — وهو الأظهر — فإن الله خلق الإنسان وجعله مجبولاً من الناحية الغريزية على حب اللذائذ والشهوات^(٩)، فإنه كما أودع فيه العقل أودع فيه الشهوة أيضاً، وألهم النفس فجورها وتقواها. والشيطان يحسن للإنسان — عبر الوسوسة — الأعمال القبيحة ويقبح له الأعمال الحسنة.

والأمور التي ذكرت في هذه الآية ليست قبيحة بذاتها، بل هي طيبة في أصل وجودها. نعم، قد تعنون بالخبيث لكن هذا عارض خارجي وليس ذاتياً له^(١٠) وذلك نتيجة لانحراف الإنسان

^(٧) سورة آل عمران: ١٤.

^(٨) وهذا لا ينال قول النحويين بأن المجهول هو الذي لا يكون له فاعل؛ لأن مرادهم في عالم الإثبات — أي: عالم الألفاظ — ومراد المصنف في عالم الثبوت أي: عالم الواقع والفاعل الواقعي.

^(٩) لأن الدنيا دار امتحان واختبار.

^(١٠) ذكروا في الحسن والقبح أن موضوعهما على ثلاثة أقسام:

١: على نحو العلة التامة أي متى كان هذا الموضوع فالحكم — الحسن والقبح — موجود، كالظلم فإنه عنوان يحمل (القبح) عليه، وكالعدل فإنه عنوان يحمل (الحسن) عليه.

٢: على نحو المقتضي، والفارق بين هذا والأول: أن موضوع الأول إن تحقق لا يتحلف عنه حكمه — القبح — فإنه متى وجد الظلم فإنه قبيح، بخلاف القسم الثاني فإنه قد يتحلف عنه الحكم مع كون الموضوع باقياً

واستخدامه النعم الإلهية استخداماً باطلاً خدمة لأغراض شيطانية، وما ذكرناه كان مستفاداً من الآية المباركة: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^(١١).
وفي آية أخرى: ﴿قُلْ أَجَلُ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾^(١٢).

ولكن قد تصبح هذه الأشياء الطيبة — ذاتاً — أداة هدم للإنسان، وسبباً لتحطيم كرامته، وهدم رفعتة المعنوية، إذا اتخذها الإنسان هدفاً بذاتها لا طريقاً إلى الآخرة، وذلك حين يتعلق قلبه بهذه الشهوات والملذات ويجعلها هدفاً وغاية لسعيه في هذه الدنيا، فلا يبالي حينئذ بتكاليفه الشرعية ولا يلتزم بالواجبات وترك المحرمات.

تفسير آخر

ثم إن هناك تفسيراً آخر في (المزين) لحب الشهوات فالجموع ثلاثة أقوال:
الأول: زينه الشيطان؛ لأنه لا أحد أشد ذماً لها من خالقها.
الثاني: أنه زينه الله تعالى بما جعل في الطباع من المنازعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١٣).
الثالث: أنه زين الله عز وجل ما يحسن منه، وزين الشيطان ما يقيح منه.
والشبهات: جمع شهوة، وهي توقان النفس إلى الشيء، يقال: اشتهى يشتهي شهوة واشتهاء، وشهاه تشهية، وتشهى تشهياً.
وخلق الشهوة من فعل الله تعالى لا البشر، وهي ضرورية فينا؛ لأنه لا يمكننا دفعها عن أنفسنا.
والقناطر: جمع قنطار.

واختلفوا في القنطار، فقال معاذ بن جبل: هو ألف ومائتا أوقية. وقال ابن عباس: هو ألف ومائتا مثقال. وروى: أنه ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. وقال قتادة: ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائة رطل. وقال مجاهد: سبعون ألف، وقال أبو نصر: هو مئتي مسك ثور ذهباً. وقال الربيع وابن أنس:

على حاله، خذ في ذلك مثال الصدق، فإنه حسن لكن قد تعرضه جهة من الجهات فتجعله قبيحاً مع كونه صدقاً — كما إذا كان سبباً للضرر على الغير — وهكذا الكذب فإنه قبيح لكن قد يكون حسناً — كما إذا كان سبباً للإصلاح — مثلاً.

٣: ما لا يقتضي أياً منهما بما هو هو، وإنما هو باعتبار حسن وباعتبار آخر قبيح، وهذه الأمور المذكورة في المتن من هذا القسم حيث ألفا بما هي هي لا قبيحة ولا حسنة. نعم، قد تعرضه جهة القبح فتقبح أم الحسن فحسن.

(١١) سورة الأعراف: ٣٢.

(١٢) سورة المائدة: ٤.

(١٣) سورة الكهف: ٧.

هو المال.

ومعنى المقنطرة: المضاعفة، وقيل: هي كقولك: دراهم مدرهمة، أي: بمجوعة كذلك. وقال السدي: مضروبة دراهم، أو دنانير. والقنطرة: البناء المعقود للعبور، والقنطر الداهية. وأصل الباب القنطرة المعروفة. والقنطار لأنه مال عظيم كالقنطرة. والذهب والفضة معروفان، وأصل الباب التفرق.

و﴿الخيّل﴾: الأفراس سميت خيلاً؛ لاختيالها في مشيها. والاختيال: من التخيّل؛ لأنه يتخيّل به صاحبه في صورة من هو أعظم منه كبراً. والخيال كالظل؛ لأنه يتخيّل به صورة الشيء، وأصل الباب التخيّل: التشبه بالشيء.

وقوله: ﴿المُسَوِّمَةُ﴾ ذكر في معناها أربعة أقوال: الراعية، وقيل: الحسنة، وقيل: المعلمة. وقيل: المعدة للجهاد.

و﴿الحَرْث﴾: الزرع.

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المتاع: ما يستمتع به مدة ثم يفنى.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ المآب: المرجع من آب يؤول أوباً وإياباً وأوبة ومآباً إذا رجع، وتأوب تأوباً: إذا ترجع، وأوبه تأوبياً: إذا رجع. وأصل الباب الأوب: الرجوع^(١٤).

أو معنى قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾: أن حب الإنسان للمشتبهات والملذات سبب لهم أن تزين الدنيا في نفوسهم، فيطلبون اللذائذ ولو في المحرمات، ولم يذكر الفاعل؛ لأنه ليس بمقصود، وقد تقرر في علم البلاغة أن مقتضاه: أن لا يذكر الفاعل أو المفعول حيث لم يكن مقصوداً.

﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ بيان (الشهوات). ﴿وَالْبَيْنِ﴾ فإن حب الأولاد يسبب إطاعتهم والتحفظ عليهم ولو بذهاب الدين.

﴿وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ﴾ القناطر جمع (قنطار) وهو مئى مسك ثور ذهباً؛ وإنما سمي قنطاراً لأنه يكفي للحياة، فكانه قنطرة يعبر بها مدة الحياة، والمقنطرة بمعنى المجتمعة المكدسة، كقولهم: دراهم مدرهمة ودنانير مدنرة.

﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ فإن الإنسان يحبه للأموال يعصى الله في جمعه وفي عدم إعطاء حقوقه.

﴿وَالْخَيْلِ﴾ عطف على النساء، والخيّل: الأفراس.

﴿المُسَوِّمَةُ﴾ المعلمة، من سوم الخيل أي علّمها، ولا تعلم إلا الجيد الحسن منها.

﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

﴿وَالْحَرْثِ﴾ أي: الزرع، فهذه كلها محبة للناس، لكن ﴿ذَلِكَ﴾ كله ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

أي: ما يستمتع به في الدنيا ولا تنفع الآخرة إلا إذا بذلت في سبيل الله — كل حسب بذله — ﴿وَاللَّهُ

(١٤) البيان في تفسير القرآن: ج ٢ ص ٤١١ سورة آل عمران.

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٥﴾ المرجع، أي: أن المرجع الحسن في الآخرة منوط بالله سبحانه، فاللازم أن يتزهد الإنسان في الملذات ولا يتناول المجرد منها رجاء ثواب الله ونعيمه المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، فلا تسبب هذه المشتبهات عدول الإنسان عن الحق إلى الباطل وعن الرشاد إلى الضلال^(١٥). ثم إن بعض الناس يتصور أن سعادة الإنسان تكمن في الماديات إذا حصلت له على وجهها التام، مثل: الصحة، والزوجة الملائمة، والمال الوفير، والجاه العريض الذي يحفظ الكرامة، وغير ذلك من الماديات كالمسكن والمركب والمأكل والمشرب. ومنشأ هذا الرأي في أذهان البعض هو رؤيته الضيقة للحياة وللمجتمع، حيث ينظر إلى السعادة من خلال نفسه وحاجته، لا من خلال الواقع الذي ينبغي أن يعيشه، وإذا كان الأمر كذلك فأين الشعور بمشاكل البشرية؟ وأين الشعور بالآلام الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»^(١٦)، وأين الخوف من الوقوع في الأخطاء ومن سوء العاقبة والمصير السيئ؟، وأين دور الآخرة والمعنويات في حياته؟ نعم، إن الدنيا ليست داراً للراحة والدعة، والثبات والاستقرار حتى يمتلك الإنسان فيها السعادة الكاملة، وإنما هي دار الابتلاءات والاختبارات الإلهية^(١٧). ولو أبصرنا في هذه الدنيا لوجدناها مليئة بالمنغصات والهموم، والمعاناة والمشاكل. فإذا أراد الإنسان أن يكون نافعا مفيداً في هذه الدنيا، فعليه أن يتحمل — من أجل ذلك — كل الضغوط والمضايقات، وجميع المصاعب والمشكلات، فحينما يستخدم الإنسان عقله ويهتدي بنور الإيمان ويضع كل شيء في موضعه، وينظم حياته بصورة هادفة وواعية وفق موازين الحكمة العملية، يكون العقل حينئذ هو الدليل المرشد في كل التصرفات والأعمال، ويحصل على ثمرة الاطمئنان النفسي، والسلامة الروحية من الآثام والذنوب.

الله بشر أهل العقل

قال هشام بن الحكم: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر^(١٨):

«يا بن هشام، إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه، فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾»^(١٨).
يا هشام، إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ

^(١٥) راجع تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: سورة آل عمران

^(١٦) الكافي: ج ٢ ص ١٦٣ باب الاهتمام بأمور المسلمين ح ١.

^(١٧) كما قال جل وعلا: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَهْلَكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الملك: ٢، وسورة هود: ٧.

^(١٨) سورة الزمر: ١٧ — ١٨.

السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾.

يا هشام، قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مديراً، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٠).

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوعاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢١).

وقال: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ (٢٢) ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٣).

وقال: ﴿يُخَيِّبُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٤).

وقال: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَغْنَابٍ وَزُرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٥).

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْضِ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٦).

وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ إِلَّا شِرْكُكُمْ أَلَيْسَ بِهِ شَيْعاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢٧).

وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَعَاوَنُ لَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٨).

يا هشام، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

(١٩) سورة البقرة: ١٦٣ — ١٦٤.

(٢٠) سورة النحل: ١٢.

(٢١) سورة غافر: ٦٧.

(٢٢) سورة الجاثية: ٥.

(٢٣) سورة البقرة: ١٦٤.

(٢٤) سورة الحديد: ١٧.

(٢٥) سورة الرعد: ٤.

(٢٦) سورة الروم: ٢٤.

(٢٧) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢٨) سورة الروم: ٢٨.

وَلَلْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾

يا هشام، ثم خوف الدين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿وَبِالْلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٠).

وقال: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾.

يا هشام، إن العقل مع العلم فقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٣٢).

يا هشام، ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْلَحْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣٣).

وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣٤).

وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣٥).

وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣٦).

مركز تحقيقات كميوتير علوم رسدي

وقال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣٧).

وقال: ﴿وَتَنَسَوْنَ الْفُسْكَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٨).

يا هشام، ثم ذم الله الكثرة، فقال: ﴿وَإِنْ وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ

(٢٩) سورة الأنعام: ٣٢.

(٣٠) سورة الصافات: ١٣٦ — ١٣٨.

(٣١) سورة العنكبوت: ٣٤ — ٣٥.

(٣٢) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٣٣) سورة البقرة: ١٧٠.

(٣٤) سورة البقرة: ١٧١.

(٣٥) سورة يونس: ٤٢.

(٣٦) سورة الفرقان: ٤٤.

(٣٧) سورة الحشر: ١٤.

(٣٨) سورة البقرة: ٤٤.

الله ﴿٣٩﴾.

وقال: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾.

وقال: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤١﴾.

يا هشام، ثم مدح القلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ﴿٤٢﴾.

وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ ﴿٤٣﴾.

وقال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ﴿٤٤﴾.

وقال: ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٥﴾.

وقال: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾.

وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٧﴾.

وقال: وأكثرهم لا يشعرون ﴿٤٨﴾.

يا هشام، ثم ذكر أولي الأبواب بأحسن الذكر، وحلّاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٤٩﴾.

وقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٠﴾.

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥١﴾.

(٣٩) سورة الأنعام: ١١٦.

(٤٠) سورة لقمان: ٢٥.

(٤١) سورة العنكبوت: ٦٣.

(٤٢) سورة سبأ: ١٣.

(٤٣) سورة ص: ٢٤.

(٤٤) سورة غافر: ٢٨.

(٤٥) سورة هود: ٤٠.

(٤٦) سورة الأنعام: ٣٧.

(٤٧) سورة المائدة: ١٠٣.

(٤٨) مستفاد من مضمون آيات عديدة.

(٤٩) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٥٠) سورة آل عمران: ٧.

(٥١) سورة آل عمران: ١٩٠.

وقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٥٢).

وقال: ﴿أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٥٣).

وقال: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٥٤).

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْثَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٥٥).

وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٦).

يا هشام، إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٥٧) يعني عقل.

وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾^(٥٨) قال: الفهم والعقل.

يا هشام، إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير، يا بني، إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشرائعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر.

يا هشام، إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير الصمت، ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب ما هبت عنه. يا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استحابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام، إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة: فالعقول.

يا هشام، إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام، من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أملة، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على

(٥٢) سورة الرعد: ١٩.

(٥٣) سورة الزمر: ٩.

(٥٤) سورة ص: ٢٩.

(٥٥) سورة غافر: ٥٣ — ٥٤.

(٥٦) سورة الذاريات: ٥٥.

(٥٧) سورة ق: ٣٧.

(٥٨) سورة لقمان: ١٢.

هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام، كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة.

يا هشام، نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل.

يا هشام، قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود. يا هشام، إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا؛ فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام، إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام، إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها، فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، ونظر إلى الآخرة، فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام، إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة؛ لأهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرع إلى الله عز وجل في مسأله بأن يكمل عقله؛ فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُفْرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٥٩) حين علموا أن القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة، يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصدقاً، وسره لعلانيته موافقاً؛ لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى

يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبدول، وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيرا منه وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام، إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه.

يا هشام، لا دين لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدرا الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطرا، أما إن أهدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبعوها بغيرها. يا هشام، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق. إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث، أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق.

وقال الحسن بن علي عليه السلام: إذا طلبتم الخواص فاطلبوها من أهلها، قيل: يا ابن رسول الله، ومن أهلها؟ قال: الذين قص الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٩٠) قال: هم أولو العقول.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: بحالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاية العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروءة، وإرشاد المستشار قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلا وآجلا.

يا هشام، إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه^(٩١).

تحرير النفس من أسر الهوى

قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي بوصيه: «... إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش، ويقلل الله عشرته فيتذكر ويفزع إلى التوبة والخافة، فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٩٢)».

إلى أن قال عليه السلام: «واعلم، أنه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل

^(٩٠) سورة الرعد: ١٩.

^(٩١) الكافي: ج ١ ص ١٣ - ٢٠ كتاب العقل والجهل ح ١٢.

^(٩٢) سورة الأعراف: ٢٠١.

كمخالفة الهوى، ولا يخوف كخوف حاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك الدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدي كالجور، ولا جور كموافقة الهوى»^(٦٣).

إن تحرير النفس من قيود الشهوة وأسر الهوى يتطلب جهداً مستمراً، ومثابرة دائمة، كي يحكم الإنسان عقله فيها، ومن الواضح أن أول مرحلة في مسيرة التكامل العقلي، وبلوغ الرشد الإنساني، هي السيطرة التامة على جميع الشهوات والرغبات، وإحضارها لمبدأ العقل وموازين الشرع، ليحرر ذاته من وثاق الشهوة، ويفك نفسه من عبوديتها، تلك العبودية البغيضة الحاجبة عن العبودية الحقة لله عز وجل. قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «عبد الشهوة أذل من عبد الرق»^(٦٤).

وقال (عليه السلام) أيضاً: «طاعة الشهوة تفسد الدين»^(٦٥).

ولكن لا يمكن الغلبة على تلك الشهوات إلا عبر المكافحة المستمرة، فإن العقل لا يستسيغ التطرف في الشهوة والركض وراءها، ولذا يحاول مكافحتها عبر الطرق المثيرة، والأساليب المتاحة لدى الإنسان من قريب أو بعيد: عبر لسانه وكلامه، وعبر جوارحه وعمله، كالصمت والسكوت، مثلاً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من كف لسانه ستر الله عوراته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه، ومن اعتذر إلى الله قبل عذره»^(٦٦).

وقال أعرابي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله، دلي على عمل أنحو به؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أطعم الجائع، وارو العطشان، وأمر بالمعروف، وأنه عن المنكر، فإن لم تطق فكف لسانك، فإنه بذلك تغلب الشيطان».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله عند لسان كل قائل فليتنق الله أمرؤ، وليعلم ما يقول». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فأدنوا منه فإنه يلقي الحكمة»^(٦٧).

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: «من علامات الفقه: الحلم والحياء والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، وإنه ليكسب المحبة، ويوجب السلامة وراحة لكرام الكاتبين، وإنه لدليل على كل

^(٦٣) تحف العقول: ص ٢٨٤ ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي.

^(٦٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٤ ق ٣ ب ٣ ف ٥ ح ٦٩٦٥.

^(٦٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٤ ق ٣ ب ٣ ف ٥ ح ٦٩٥٧.

^(٦٦) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٣ ب ٢٧.

^(٦٧) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٣ ب ٢٧.

بحيره (٦٨).

وقال عيسى عليه السلام: «العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت، وجزء واحد في الفرار من الناس» (٦٩).

بين الصمت المطلوب والصمت المفروض

من الواضح أن المراد من الصمت في الأحاديث الشريفة الآنفه هو: السكوت عن التحدث بالباطل، كالغيبة، والتهمة، والنميمة، أو الإنشاءات الباطلة، وهكذا الإعبارات الغيبية والماورائيات بدون استناد إلى جهة مقبولة، لا الصمت عن التحدث بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمورد الروايات المباركة التي تقول بالصمت هو في مورد لم يكن للتكلم وجه شرعي، أما إذا كان هناك للتكلم وجه، فالصمت غير مطلوب، بل هو بين حرام إذا كان التكلم من الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين مكروه إذا كان التكلم مستحباً.

إذن، فالصمت المطلوب، المذكور في الروايات الشريفة الآنفه الذكر، هو واحد من هذه الأمور لمساعدة الإنسان على مكافحة الشهوات، والتفصيل في علم الأخلاق وقد ذكرناه هنا استطراداً.

وأما أن تحطيم الرغبات الشهوانية، يحصل عبر مخالفة الهوى وزم النفس، فهو من الحقائق الواضحة، حيث إن الإنسان إذا خالف نفسه وهواه وجعل رغباته النفسية تحت قدميه، فإنه يربح شيئاً أنفع وهو: العلاقة بالله تعالى والقرب منه سبحانه (٧٠)، وفي هذه الحالة يتجه نحو المعنويات العالية، ولم يعد يجعل كل همّه على الأمور المادية الدانية، ولا يجعل المعاش الدنيوية هي المقياس الوحيد له؛ وذلك لأن فكره وعقله قد اتسع، فانفتحت له الآفاق المعنوية والأجواء الروحية.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره» (٧١).

القنوت بدعاء أبي حمزة

نقل عن أحد طلبة العلوم الدينية الذين درسوا في حوزة إصفهان — بعد أن قصدها من إحدى القرى المحيطة بأطراف المدينة — أنه قال: كنت أصلي في شهر رمضان في أحد مساجد البلد، وكان إمام المسجد من رجال الدين الطاعنين في السن، وحينما كان يصل إلى قنوت الصلاة كان يقرأ دعاء

(٦٨) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٤ ب ٢٧.

(٦٩) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٠٤ ب ٢٧.

(٧٠) لأن الله سبحانه وتعالى يحب العبد الزاهد في الدنيا والذي يخالف هواه.

(٧١) الكافي: ج ٢ ص ١٦ باب الإخلاص ح ٣.

أبي حمزة الثمالي بأكمله^(٧٢)، وكان يستغرق قنوته أكثر من ساعة، وكان المصلون يتابعونه دون ملل. إن هذه الحالة المعنوية التي أوجدها هذا العالم الفقيه في هذا الجمع الغفير رغم تقدم سنه وشيخوخته، تعكس لنا حالة الإخلاص لله التي كان يعيشها هذا المؤمن، ومدى تسلطه على نفسه وهواه، والإخلاص من سيطرة أية شهوة أو رغبة دنيوية، فهو لم يتماهل عن عبادته ولم يُضيعها رغم شيخوخته، بل عمل على نقل حالته هذه إلى المأمومين أيضاً.

القرآن الكريم والقنوت به

يُنقل عن أحد الولاة واسمه: عبد اللطيف باشا، أنه حينما كان يأتي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وبعد أن ينتهي من قراءة الزيارة يقف باتجاه القبلة ويرفع يديه بهيئة القنوت ويقرأ القرآن وهو بتلك الحال لمدة ثماني ساعات متواصلة حتى يختمه كاملاً وبالجملة.

ومن المعلوم: أن هذا العمل ليس بالأمر الهين، بل يحتاج إلى قوة في العزيمة، ودافع نفسي كبير، كما ويحتاج أيضاً إلى الرشد والتعقل، لئلا يخضع إلى حب الدعة والراحة، ولئلا يستسلم إلى إلحاح الشهوة، أو الخلود إلى اللهو واللعب، أو الركون إلى النعاس والنوم، لتحول هذه الأمور بينه وبين الوصول إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، التي تشكل أسس مراتب السمو الإنساني.

موسوعتان عظيمتان:

إن من له نوع إلمام بالفقه، إذا راجع كتاب: (مفتاح الكرامة)^(٧٣)..

^(٧٢) وهو دعاء عالي المضامين علمه الإمام السجاد عليه السلام لتلميذه أبي حمزة الثمالي الذي يعد من الحوارين، ومعاني هذا الدعاء عالية جداً حيث تكشف لنا بعض الحقائق عن الإنسان وغيره، وهو طويل نسبياً إذ يستغرق وقت قراءته ساعة من الزمان تقريباً. أما أبو حمزة الثمالي فهو: ثابت بن دينار، يكنى ديناراً؛ أبا صفية، وكنية ثابت: أبو حمزة الثمالي. روى عن علي بن الحسين عليه السلام ومن بعده، واختلف في بقائه إلى وقت أبي الحسن موسى عليه السلام، وكان ثقة، وكان عربياً أزدياً. قال الكشي: وجدت بخط أبي عبد الله محمد بن نعيم الشاذاني، قال: سمعت الفضل بن شاذان قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «أبو حمزة في زمانه كلقمان في زمانه، وذلك أنه خدم أربعة منّا: علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وبرهه من عصر موسى بن جعفر عليه السلام، ويونس بن عبد الرحمان هو سلمان في زمانه». روى عنه العامة، ومات في سنة خمسين ومائة، وأولاده: نوح ومنصور وحمزة، قتلوا مع زيد بن علي بن الحسين عليه السلام. انظر خلاصة الأقوال للعلامة الحلي: ص ٨٥.

وذكره ابن النديم في (الفهرست) فقال: وكتاب تفسير أبي حمزة الثمالي، واسمه ثابت بن دينار وكنية دينار أبو صفية، وكان أبو حمزة من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام من النجباء الثقات، وصحب أبا جعفر عليه السلام. الفهرست: ص ٣٦ تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن.

^(٧٣) كتاب (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة) للسيد محمد الجواد بن محمد الحسيني العاملي، ولد عام

وكتاب: (جواهر الكلام)^(٧٤) أيقن ببذل الجهد الجهد من جانب مؤلفي

(١١٦٤هـ) في قرية شقراء من قرى جبل عامل في لبنان، وتوفي بالنحف، أواخر سنة (١٢٢٦هـ)، تلميذ الشيخ جعفر والمعاصر والراوي عن الوحيد البهبهاني وبحر العلوم والميرزا القمي وصاحب (الرياض). وهو كتاب جليل، وقيل فيه: **لله آية معجز ظهرت له** ففدت لكل كرامة مفتاحاً فاجواهر بمفتاح كرامته استخرجت، والهداية بمصباح رعايته استضاءت، بل سائر الكتب المبسوطة في الأحكام التقطت من أرقام صحائف الكرام. قال مؤلفه في سبب تأليفه مفتاح الكرامة:

قد امتثلت به أمر سيدي وأستاذي ومن عليه بعد الله سبحانه وأوليائه اعتماداً الإمام العلامة المعتمد المقدس الخیر الأعظم الشيخ جعفر جعلني الله فداه وأطال بقاءه، قال أدام الله حراسته أحببت أن تعتمد إلى قواعد الإمام الأعظم العلامة (أعلى الله مقامه)، فتتظر إلى كل مسألة تختلف فيها كلمة الأصحاب، وتنقل أقوالهم وتضيف إلى ذلك نقل شهرتهم وإجماعهم، وتذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها ذلك، وإذا عثرت على دليل في المسألة لم يذكره فاذكر سنده ومتمه، واذكر عند اختلاف الأخبار مذاهب العامة على وجه الاختصار؛ ليكمل نفعه ويعظم وقعه.

ثم إن مؤلف (مفتاح الكرامة) هاجر إلى العراق لتحصيل العلم، ونزل كربلاء المقدسة، ولازم درس السيد صاحب (الرياض) وهو الذي ربه وغمه وقربه وأدناه، كما صرح في اجازة لبعض تلامذته، ثم صار يحضر درس الوحيد البهبهاني. وبعده هاجر إلى النحف الأشرف ولازم درس السيد بحر العلوم، وأجازه السيد في الرواية. وحضر على شيخ الطائفة صاحب كشف الغطاء بعد وفاة السيد بحر العلوم وصنف (مفتاح الكرامة) بالتماسه — كما سبق — وله رسائل شتى في مسائل متفرقة، مثل رسالته في مسألة المقيم إذا خرج عن محل الترخص بقصد العود، ورسالة في (القراءة)، و(حاشية على طهارة المدارك).

وكان الشيخ صاحب الجواهر أولاً من تلامذته المتخرجين عليه، ثم صار إلى درس الشيخ صاحب كشف الغطاء بعد رجوع الشيخ من سفر إيران. ويروي السيد جواد عن أستاذه المير سيد علي والشيخ صاحب كشف الغطاء والميرزا المحقق القمي صاحب القوانين والوحيد البهبهاني والسيد بحر العلوم المهدي وغيرهم مما ذكرهم في اجازته الكبيرة. ويروي عنه جماعات من الفحول كالشيخ صاحب الجواهر والسيد صدر الدين وأمثالهما من الأعلام.

انظر الذريعة: ج ١٢ ص ٣٤١ تحت رقم ٥٣٨١. وكشف الحجب والأستار: ص ٥٤١ تحت الرقم ٣٠٣٧.

(٧٤) كتاب (جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام)، للشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرحيم بن محمد الصغير بن عبد الرحيم، المشهور بصاحب الجواهر، ولد عام (١٢٠٢هـ)، كتب تمام نسبه كذلك بخطه في آخر كتاب القضاء. وكتاب الجواهر لا يوجد في خزائن الملوك بعض جواهره، ولم يعهد في ذخائر العلماء شيء من ثماره وزواهره، لم يكتب مثله جامع في استنباط الحلال والحرام، فهو كتاب محيط بأول الفقه وآخره، محتو على وجوه الاستدلال مع دقة النظر ونقل الأقوال، قد صرف المؤلف فيه عمره الشريف، وبذل وسعه في تأليفه ما يزيد على ثلاثين سنة؛ لأن آخر ما خرج من قلمه الشريف من مجلدات الجواهر هو كتاب الجهاد إلى آخر النهي عن المنكر، وقد فرغ منه في (١٢٥٧هـ)، طبع مكرراً في إيران، ونسخة الأصل التي كتبت على نسخة خط المؤلف ونظر فيها المؤلف وصححها وكتب عليها التصحيحات بخطه، خرجت في أربعة وأربعين

أقر لهما بشدة تعبهما ونصبهما في ذلك ومخالفتهما لهوى النفس. نعم، إن صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) لم يوفق لكتابة هذا الكتاب القيم إلا بعد شدة الارتباط بالله عز وجل ومخالفة النفس، وقد تم تأليف الكتاب قبل ما يزيد على (١٨٠ عاماً تقريباً)، وهو كتاب فقهي دقيق وعميق — وقد بذل مؤلفه كل ما لديه من طاقة من أجل إخراجه إلى حيز الوجود، وذلك رغم قلة وسائل الكتابة والتأليف في ذلك الزمان، ورغم مصاعب الحياة ومتاعبها حينذاك. وكذلك تلميذه صاحب كتاب (جواهر الكلام) الذي يقع كتابه في (٤٣ مجلداً) فإنه قضى ثلاثين عاماً في تأليفه، متخطياً كل الصعوبات التي اعترضته في هذا المسار. وهذا النضج في التفكير، والعمل الدائب، والجهاد المستمر في العمل، ومخالفة الهوى وشدة الارتباط بالله، كان السبب لأن يخلد هؤلاء أعلاماً في دنيا المعرفة والعلم طوال هذين القرنين من الزمن.

بين اللذتين: المادية والمعنوية

وهنا لا بأس بأن نوضح الفرق بين اللذتين: اللذة المادية واللذة المعنوية، ليظهر الفرق بينهما جلياً وواضحاً.

أما المادية: فتظهر على الإنسان عند ما كان صبيّاً في أول حركته ومميزه، فإنه تظهر فيه غريزة بما يستلذ اللعب، حتى يكون عنده كثيراً ما ألد من سائر الأشياء، ثم يظهر فيه بعد ذلك استلذاذ اللهو ولبس الثياب الملونة وركوب الدواب، ثم تظهر فيه بعد ذلك لذة التحمل وحب النساء، وحب المنزل والخدم، فيحقر ما سواها، ثم تظهر بعد ذلك فيه لذة الجاه والرياسة، والتكاثر بالمال والثروة، والتفاخر بالأعوان والأتباع، والأولاد والأحفاد، وهذه آخر لذات الدنيا، وإلى هذه المراتب أشار سبحانه وتعالى بقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ﴾^(٧٥). هذه هي اللذة المادية التي تنتهي بانتهاء الإنسان، بل تنتهي بانتهائها هي.

وأما اللذة المعنوية: وهي التي تظهر في البعض من الناس دون جميعهم، هي لذة المعرفة بالله تعالى،

مجلداً صغيراً، وقد وقف جميعها السيد أسد الله بن السيد حجة الإسلام الرشتي الاصفهاني في (١٢٧١هـ)، وجعل التولية لولد المؤلف الشيخ عبد الحسين، وذكر في بعض تلك المجلدات تواريخ الفراغ منها ليمتاز ما هو المتقدم في التأليف عن المتأخر.

نوفي (رحمه الله) في غرة شعبان سنة (١٢٦٦هـ) في النجف الأشرف، له كتب أخرى، منها: نجاة العباد، هداية السالكين في مناسك الحج، رسالة في الموارث، للتفصيل انظر (الذريعة في نسايف الشيعة): ج ٥ ص ٢٧٥ تحت الرقم (١٢٩٦).

^(٧٥) سورة الحديد: ٢٠.

والقرب منه، والمحبة له، والقيام بوظائف عبادته وترويح الروح بمناجاته، ولذة العمل بكتابه، والعمل بأحكامه، وأتباع سيرة نبيه ﷺ، وانتهاج منهج أوليائه، ومودة أهل بيت نبيه (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهذه هي اللذة الباقية، التي لا تنتهي بانتهاء الإنسان، ولا تزول بزواله، بل تبقى لبقاء مبدئها ومنشئها. فيستحقق معها الإنسان جميع اللذات السابقة.

ولذا سيبقى هؤلاء الذين وجدوا اللذة والسعادة الحقيقية في المعرفة والطاعة وبذل الوسع في سبيل الدين والإنسانية متمسكين بما هم عليه؛ إذ هم قد عرفوا زوال اللذات الدنيوية وزيفها، وعلموا فناءها وتبعاتها، فزهدوا في جميع تلك الملذات الفانية والزائلة من أجل الآخرة ولذاتها الباقية والدائمة، حتى أصبحوا مشاغل هدى، وذخائر علوم ربانية، وسفن نجاة في هذه الحياة الدنيا، فضلاً عن الأجر الأخروي الذي لا يُعد ولا يُحصى والذي سينالوه في الآخرة، إن شاء الله تعالى.

وهذه اللذة هي لذة عقلية أيضاً، وهي أسمى وألذ بكثير من اللذة الجسمية أو الوهمية، التي سبقت الإشارة إليها في الكلام حول اللذات المادية.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قد قصدت باب ملك عظيم لما يطأ بساطه إلا المطهرون، ولا يؤذن لمخالسته إلا الصديقون، فهب القدوم إلى بساطه هيبة الملك فإنك على خطر عظيم، إن غفلت فاعلم أنه قادرٌ على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك، فإن عطف عليك برحمته وفضله قبل منك بسير الطاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً، وإن طالبك باستحقاق الصديق والإخلاص عدلا بك حببك وردّ طاعتك وإن كثرت، وهو فعال لما يريد. واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك وفقرك بين يديه، فإنك قد توجهت للعبادة والموانسة به، واعرض أسرارك عليه، ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلق أجمعين وعلايتهم، وكن كأفقر عباده بين يديه، وأمل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك؛ فإنه لا يقبل إلا الأطهر والأخلص، وانظر من أي ديوان يخرج اسمك، فإن ذقت حلاوة مناجاته ولذيت مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته فقد صلحت لخدمته، فادخل، فلك الإذن والأمان، وإلا فقف وقوف من انقطع عنه الخيل وقصر عنه الأمل وقضى عليه الأجل، فإن علم الله عز وجل من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرحمة واللطف، ووفقك لما يحب ويرضى، فإنه كريمٌ يحب الكرامة لعباده المضطرين إليه، المحترقين على بابه لطلب مرضاته، قال تعالى:

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (٧٦) و (٧٧).

مع المؤلف الكبير: الشيخ البلاغي

(٧٦) سورة النمل: ٦٢.

(٧٧) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٤٣٧ ب ٥٤ ح ٣٩٤٦.

كان المرحوم: الشيخ البلاغي رحمته الله (٧٨) من كبار العلماء في العراق، ومن الذين قاموا بجهاد أنفسهم في سبيل الله عز وجل، وقد ألف كتباً مهمة في شؤون العقيدة وأصول الدين، وقدم خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، وعانى من أجل ذلك الكثير الكثير.

فلقد كان أثناء إقامته في مدينة سامراء، التي كان يواصل درسه فيها، يحاول تعلّم لغة التوراة — العبرية — ليكشف تحريف اليهود لها، فكان يدفع نصف راتبه الشهري — وكان بمجموعه راتباً ضئيلاً لا يكاد يكفي لماأكله وملبسه — إلى يهودي كان يسكن هناك لكي يتعلم منه اللغة العبرية، حتى استطاع بعد ذلك أن يستخرج التوراة — حسب طبعتها العبرية — ويطابقها مع التوراة العربية، فاكتشف كثيراً من التحريف.

يقول المرحوم السيد حسن القزويني رحمته الله: ذهبت إلى منزل الشيخ البلاغي رحمته الله في النجف الأشرف، فوجدته جالساً في حجرته منشغلاً بالكتابة، وكان ذلك في أشد أيام الصيف حرارة، وكانت حجرته حارة جداً بحيث لا يطاق الجلوس فيها، ثم إني التفت إليه وإذا بمنديل له وعليه بقع من الدم! وبعد الاستفسار عن ذلك عرفت أن الشيخ البلاغي رحمته الله يعاني من التهاب شديد في صدره، وإنه جاءته نوبة من السعال نفث الدم من صدره، لكن الشيخ رغم هذا المرض ومعاناته الكبيرة وآلامه الشديدة كان يواصل تحقیقاته وتالیفاته القيمة.

(٧٨) هو الشيخ محمد جواد بن الشيخ حسن طالب البلاغي النحفي الربعي (نسبة إلى ربيعة القبيلة المشهورة) (١٢٨٢ - ١٣٥٢ هـ).

من مشاهير علماء الشيعة في عصره، علامة جليل ومجاهد كبير ومؤلف مكثر. كان من بيت علم وفضل وأدب (آل البلاغي)، معروف بالصلاح والتقوى، ولد في مدينة النجف الأشرف ونشأ بها، فأخذ المقدمات عن الأعلام الأفاضل فيها، وحضر دروس الخارج على الشيخ طه نجف والخراساني والشيخ آقا رضا الهمداني وحضر على الميرزا محمد تقي الشيرازي عشر سنين، له رحمته الله مؤلفات رائعة ونادرة وقف بها قبال النصاري وأمام تيار الغرب الجارف حينذاك، فمثل لهم سمو الإسلام على جميع الملل والأديان. كان معروفاً بخلوص النية وإخلاص العمل إلى الله حتى أنه كان لا يرضى أن يوضع اسمه على مؤلفاته عند طبعها.

من أشهر آثاره المطبوعة: (الهدى إلى دين المصطفى) في الرد على عبدة الثالوث، و(أنوار الهدى) في إبطال بعض الشبه الإلحادية، و(الرحلة المدرسية) في الرد على الملل الخاطئة وقد ترجم إلى الفارسية، و(نصائح الهدى) في الرد على البابية، و(أعاجيب الأكاذيب) في بيان مفتريات النصاري، و(التوحيد والتثليث) في الرد على النصاري أيضاً، و(إبطال فتوى الوهابيين) في هدم قبور البقيع، وغيرها من الآثار الجليلة تناهز (٤٢) مصنفاً، وقد ترجمت بعض مؤلفاته إلى الإنجليزية للاستفادة من مضامينها الراقية. عرف عنه رحمته الله أنه كان يجيد اللغة العبرانية والفارسية والإنجليزية. توفي ليلة الاثنين في (٢٢ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ) في النجف الأشرف فشيّع تشييعاً يليق بمقامه الرفيع، ودفن في الحجرة الثالثة الجنوبية من الطرف الصحن الشريف. انظر نقباء البشر في القرن الرابع عشر: القسم الأول من ج ١ ص ٣٢٣ بالرقم ٦٦٣.

وذكر أيضاً: إن الشيخ البلاغي رحمه الله كان يعيش حالة من الفقر وضيق العيش، ومع هذا لم تشنه كل هذه المشاكل عن إنجاز كتبه القيمة. وذكر أنه لما توفي الشيخ البلاغي رحمه الله وانتشر خبر وفاته قامت الكنائس في بغداد وأوروبا بقرع نواقيسها فرحاً بموته؛ لأن ذلك اليوم كان يُعدّ عندهم يوم ارتياحهم من شخص استطاع في أثناء حياته أن يكشف التزوير والتدليس الذي ادخلوه على تعاليم الدين المسيحي، وأن يرد بموضوعية علمية كبيرة على كتبهم المضللة المزورة التي ينسبونها إلى الدين المسيحي واليهودي.

ولم يكن الشيخ رحمه الله وباقي العلماء من الشخصيات الكبيرة التي سجلها التاريخ يستطيعون من إنجازات هذه المشاريع لولا أن بذلوا أغلى ما عندهم، ولولا أن طلقوا الدنيا وما فيها من نعيم زائل لا يدوم، ولولا أن جاهدوا أنفسهم وخالفوا هواها ومشتهاها، وذلك من أجل مهمة هداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق رضا لله عز وجل.

ومن الواضح: أن هذه الأمور إنما تتحقق لكل من ارتضاه الله عز وجل، ولا يرتضي الله إلا من أوقف نفسه للدين، وهداية الناس أجمعين، وفي هذا جاء عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم: «إن الناس في الدنيا ضيف وما في أيديهم عارية، وإن الضيف راحل وإن العارية مردودة، ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل قاهر، فرحم الله من نظر لنفسه ومهد لرمسه وحبله على عاتقه ملقى، قبل أن ينفذ أجله، وينقطع أمله، ولا ينفع الندم» ^(٧٩).

من أسباب قوة غاندي

ثم إن مخالفة النفس وهواها توجب قوة الإنسان، مهما كان اتجاهه ومعتقداته. لقد بنى غاندي ^(٨٠) حياته — حسب ما قيل عنه — على غط نحاس، فلم يكن يأكل اللحم إطلاقاً، بل كان

^(٧٩) إرشاد القلوب: ج ١ ص ٢٣ ب ٤.

^(٨٠) غاندي: وهو موهانداس كرامشاند، زعيم وفيلسوف هندي قاوم الاستعمار الإنجليزي لبلاده، مواليد الهند عام (١٨٦٩م) اشتهر بلقب (المهاثما) أي: النفس الزكية، دعا إلى تحرير الهند من سيطرة الإنجليز بالطرق السلمية واللاعنف، درس القانون بجامعة لندن وعاد إلى الهند ثم انتقل إلى جنوب إفريقيا سنة (١٨٩٣م) حيث اشتغل بالحاماة، ولم يلبث أن انصرف إلى قضية مواطنيه ضد قوانين التفرقة العنصرية، بدأ نشاطه السياسي عام (١٩١١م) بالمظاهرات التي نظمها ضد القوانين التعسفية التي شرعت ضد الآسيويين، ونجح في إلغائها، وفي عام (١٩١٤م) سافر إلى لندن لتنظيم وحدة إسعاف هندية تشارك في الحرب العالمية الأولى. تضمنت معالم سيرة غاندي منذ عودته إلى الهند عام (١٩١٥م) تزعمه الحركة الاستقلالية بتنظيم حركة عدم التعاون (١٩١٩م) ثم حركة الإضرابات التي شملت الهند، وتلا ذلك تنظيم العصيان المدني ومقاطعة البضائع الأجنبية، قبض عليه مرات عدة وألقي في السجن، وفي عام (١٩٣٠م) نظم المسيرة الكبرى وعارض قانون احتكار الملح سجن على أثرها، وفي عام (١٩٤٢م) قاد حملة العصيان المدني الثانية التي أدت به إلى السجن أيضاً. استحدث

يكتفي دائماً بالفاكهة بل ببعض أنواعها فقط، ولا يرغب في تناول الأغذية الحلوة والمالحة، وكان يعتقد أن هذه الأكلات هي حاجات نفسية يلزم الابتعاد عنها؛ فهو كان يرى أن الأكل ضرورة لحياة الجسم لا لإشباع رغبة في الأكل.

وفي الحقيقة أن هذه الفكرة، وهذا النحو من العمل الصعب لا يحصل لأحد إلا إذا جاهد نفسه، وتأمل بدقة، وتفكر بعمق، وكان هذا من أسباب قوة غاندي حيث كان يخالف هوى نفسه.

الإنسان والمعرفة

قال عز من قائل: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٨١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٨٢).
لم تقم السماوات سدى وعبثاً، ولا على إفراط وتفریط، كما لم يتحقق أي فعل من أفعال الله دون قانون إلهي دقيق حكيم.

والإنسان لا يستطيع أن يصل إلى هدفه وإلى حل مشكلاته دون تحريك عملي منتظم، وجهود منتظمة مبدولة في ذلك الطريق.

وأهم ما يجب على الإنسان السعي من أجل تحقيقه والتعمق فيه للتغلب على هوى نفسه: هو معرفة الله عز وجل، حيث إنه إذا لم يتعمق الإنسان في معرفة الله فلا يمكنه أن يزداد خوفاً منه ولا يمكنه التغلب على نفسه، وعندئذ لا يكون بمقدوره إنجاز (أفضل الأعمال) كما ورد ذلك في الروايات.

قال رسول الله ﷺ: « من عرف نفسه فقد عرف ربه، ثم عليك من العلم بما لا يصح العمل إلا

غاندي في نضاله ضد الاستعمار عدة أساليب أبرزها المقاومة السلبية بدون عنف، ثم سياسة عدم التعاون بالامتناع عن العمل، ثم (العصيان المدني) التي شملت الامتناع عن دفع الضرائب، ثم مقاطعة البضائع الأجنبية بإحراقها علناً، ركز في تلبية الحاجات المعيشية الاكتفاء الذاتي والعودة إلى الإنتاج الوطني، كما تضمن برنامجه سياسة (التسامح الطائفي) حيث نجح في ضم ملايين المسلمين إلى حزب المؤتمر الهندي، ولكن هذه السياسة أثارت بعض غلاة الهندوك ودفعت أحد هؤلاء لاغتياله في عام (١٩٤٨م)، ويعتبر غاندي من أبرز دعاة السلام في القرن العشرين.

انظر القاموس السياسي، لأحمد عطية: ص ٨٣٤ حرف الغين، وانظر المنجد في الأعلام: ص ٣٨٧ حرف الغين، وانظر كتاب (تجاري مع الحقيقة).

(٨١) سورة الحجر: ١٩ — ٢١.

(٨٢) سورة القمر: ٤٩ — ٥٠.

به وهو الإخلاص»^(٨٣).

ومن طرق معرفة الله: التأمل في مخلوقاته حيث تتجلى عظمته سبحانه حتى في أصغر وأدق شيء منها، فمثلاً :

إن في ذرة اليورانيوم الواحدة هناك جزيئة يدور حولها (٨٦ قمرأ) وبسرعة (٣ ملايين) دورة في الثانية، على ما نقل عن علماء الذرة في ذلك. أليس هذا الأمر عجيباً بل أعجب من العجيب؟
لذا فإن المعرفة بالله عزوجل تقربنا من الله سبحانه وتعالى خالق الكون، ومدبر الأمور كلها. فالتأمل في مخلوقات الله هي إحدى طرق العمل لتحصيل القدرة على إنجاز أفضل الأعمال ومخالفة الهوى. وعليه: فلا بد أن نعمل لنشر هذه الثقافة في الأوساط وبين الناس جميعاً: معرفة الله عزوجل، ويتبعها معرفة دينه ومعرفة رسله ومعرفة أوصيائهم عليهم السلام.

الفكر والتفكير

قال أمير المؤمنين عليه السلام: « لا عبادة كالتفكير في صنعة الله عزوجل »^(٨٤).

وقال عليه السلام: « لا علم كالتفكير »^(٨٥).

وقال عليه السلام لابنه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «أي بني، إن لم أكن عمرت عُمرَ من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في أثارهم، حتى عُدْتُ كأحدهم، بل كأي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كل أمر نفيته، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجهوله... »^(٨٦).

هذا وقد ثبت لدى العلماء، المسلمين وغير المسلمين، أن للفكر دوراً كبيراً في بناء شخصية الإنسان، وتحذيرها بالمواعظ، وإلزامها بالفضائل، فإن التفكير الصحيح يؤدي إلى جهاد النفس ومخالفة الهوى وهو من أسرار تكون شخصية العظماء في التاريخ.

فمن الشخصيات القوية التي بناها الفكر والتفكير في تاريخ الإسلام هي شخصية أبي ذر (رضوان الله عليه)، وقد قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «كان أكثر عبادة أبي ذر رحمة الله عليه حصلتين: التفكير والاعتبار»^(٨٧).

ومن هنا نرى شدة التزام أبي ذر عليه السلام بقيمه ومبادئه ومخالفته هوى نفسه، حتى أنه لم يخضع

^(٨٣) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٢ ب ٩ ح ٢٢.

^(٨٤) بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٢٤ ب ٨٠ ح ١١.

^(٨٥) لمعج البلاغة، قصار الحكم: ١١٣.

^(٨٦) لمعج البلاغة، الكتب: ٣١ من وصية له عليه السلام لحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

^(٨٧) المحصال: ج ١ ص ٤٢ باب الاثنين ح ٣٣.

للسلاطين ورد منحه فعاش وحيداً غريباً، ومات وحيداً غريباً، ولكنه فاز برضا الله عز وجل.

من عجائب صنع الله

قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٨٨).

يقول المختصون: إن في الأذن أعصاباً بعدد كل الحروف المنطوقة، وإن الإنسان إنما يدرك الكلمة بواسطة تلك الأعصاب، وإذا حدث أن اختل واحد من تلك الأعصاب فإن الإنسان لا يسمع ذلك الحرف، كما ذكروا أيضاً أن هناك (٢٤) مليون لون في الطبيعة وقد عرضوا (٣٠٠) ألف لون من هذه الألوان في معرض أقاموه في إحدى الدول الغربية.

وقالوا أيضاً: إن في العين أعصاباً هي بعدد الألوان في المحيط الخارجي، وأن كل عصب من تلك الأعصاب يختص بلون معين، ولو حدث أن عصباً من تلك الأعصاب أصابه خلل فإن العين لا ترى ذلك اللون الذي هو من اختصاص ذلك العصب، وهذا جزء من عظمة الله عز وجل في مخلوقاته، وفي القرآن الحكيم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٨٩).

فعلى الإنسان أن يضع شهواته وميوله النفسية جانباً، ويعمل بكل جهد وجد لنيل الكمال الإنساني، وبلوغ السعادة الأبدية، حتى يعمر بذلك دنياه وآخرته.

العقل والتعقل

نعم، على الإنسان أن يرقى بروحه، ويعرج بعقله، ويجعل شهواته وميوله النفسية تحت قدميه، وهذا أمر صعب جداً، ولا يتم إلا بالتعقل والتفكير في كل صغيرة وكبيرة، لأن النجاة من تعلقات هذه الدنيا الدنيئة لا يتم إلا به.

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه، الذي لم يطلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرب، فجعل العلم نفسه، والفهم روحه، والزهد رأسه، والحياء عينه، والحكمة لسانه، والرافة همه، والرحمة قلبه، ثم حشاه وقواه بعشر أشياء: باليقين والإيمان والصدق والسكينة والإخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر، ثم قال عز وجل: أدر فادبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: تكلم، فقال: الحمد لله الذي ليس له ضد ولا ند، ولا شبيه ولا كفور، ولا عدیل ولا مثل، الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك، ولا أطوع لي منك، ولا أرفع منك، ولا أشرف منك، ولا أعز منك، بك أوحّد، وبك أعبد، وبك أدعى، وبك أرغب، وبك أبتغى، وبك

^(٨٨) سورة التين: ٤.

^(٨٩) سورة آل عمران: ١٩١.

أخاف، وبك أحذر، وبك الثواب، وبك العقاب، فخر العقل عند ذلك ساجداً فكان في سجوده ألف عام، فقال الرب تبارك وتعالى: ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تشفع، فرفع العقل رأسه فقال: إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه، فقال الله جل جلاله لملائكته: أشهدكم أني قد شفّعتني فيمن خلقتني فيه^(٩٠).

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة كثير الصيام فلا تباهوا به حتى تنظروا كيف عقله»^(٩١).

وجاء في قوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٩٢) يعني من كان عاقلاً^(٩٣).

ومن وصايا لقمان عليه السلام لابنه، أنه قال: «تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير. يا بني، إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشرائعها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكاتها الصبر»^(٩٤).

ولقد أحسن من قال:

إذا لم يكن للمرء عقل يزنيه

لم يكن لك رأي سديد ولا أدب

فما هو إلا ذو قوائم أربع

وإن كان ذا مال كثير وذا حسب^(٩٥)

«اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً»^(٩٦).

^(٩٠) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٠٤ ب ٨ ح ١٢٧٤٥.

^(٩١) الكافي: ج ١ ص ٢٦ كتاب العقل والجهل ح ٢٨.

^(٩٢) سورة يس: ٧٠.

^(٩٣) انظر مجمع البيان: ج ٨ ص ٢٨٨ سورة يس، والتبيان في تفسير القرآن: ج ٨ ص ٤٧٤ سورة يس.

^(٩٤) الكافي: ج ١ ص ١٦ كتاب العقل والجهل ضمن ح ١٢.

^(٩٥) إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٩٨ ب ٥٣.

^(٩٦) مصباح المتعبد: ص ٦٦٢ من أدعية شهر شوال، من خطبة يوم الفطر.

من هدى القرآن الحكيم

الطريق إلى معرفة الله

قال تعالى: ﴿سَتَرِبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اللَّهُ الْحَقُّ﴾^(٩٧).
وقال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۖ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٩٨).
وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٩٩).

الإخلاص لله تعالى

قال عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾^(١٠٠).
وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(١٠١).
وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلَصًا لَهُ الدِّينُ﴾^(١٠٢).
وقال جلا وعلا: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١٠٣).

هكذا عباد الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٠٤).
وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

^(٩٧) سورة فصلت: ٥٣.

^(٩٨) سورة الذاريات: ٢٠ — ٢١.

^(٩٩) سورة الشمس: ٧ — ١٠.

^(١٠٠) سورة مريم: ٥١.

^(١٠١) سورة ص: ٨٢ — ٨٣.

^(١٠٢) سورة الزمر: ١١.

^(١٠٣) سورة البقرة: ١١٢.

^(١٠٤) سورة المائدة: ٥٤.

زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٥﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمِيزُوا زَكَاةَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٠٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٠٧﴾

وقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٠٨).

وقال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٩).

العدل والاعتدال

قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (١١٠).

وقال تعالى: ﴿فَلِلَّذَلِكَ فَاذُغْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (١١١).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١٢).

الذكرى تفيد المتعقلين

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (١١٣).

وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَنْبَاءُ﴾ (١١٤).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٥).

(١٠٥) سورة الأنفال: ٢ — ٤.

(١٠٦) سورة الفرقان: ٦٣.

(١٠٧) سورة الشعراء: ٢١٥.

(١٠٨) سورة النحل: ٩٠.

(١٠٩) سورة الشورى: ١٥.

(١١٠) سورة المائدة: ٨.

(١١١) سورة ق: ٣٧.

(١١٢) سورة الرعد: ١٩.

(١١٣) سورة الزمر: ٢١.

من هدى السنة المطهرة

النفس من طرق معرفة الله

قال رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(١١٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس»^(١١٥).

ودخل على رسول الله ﷺ رجل اسمه مجاشع فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى معرفة الحق؟ فقال ﷺ: «معرفة النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى موافقة الحق؟ قال: «مخالفة النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى رضا الحق؟ قال ﷺ: «سخط النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى وصل الحق؟ فقال ﷺ: «هجرة النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى طاعة الحق؟ قال: «عصيان النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟ قال ﷺ: «نسيان النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى قرب الحق؟ قال ﷺ: «التباعد من النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى أنس الحق؟ قال ﷺ: «الوحشة من النفس».

فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذلك؟ قال ﷺ: «الاستعانة بالحق على النفس»^(١١٦).

^(١١٤) غوالي اللآلي: ج ٤ ص ١٠٢ ح ١٤٩.

^(١١٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٣٢ ق ٣ ب ٢ ف ١ ح ٤٦٤١.

^(١١٦) مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ١٣٨ ب ١ ح ١٢٦٤٣.

الإخلاص لله سبحانه

قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي، وابتغاء مرضاتي، إلا توليت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين»^(١١٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأخلص لله عملك وعلمك وحبك وبغضك وأخذك وتركك وكلامك وصمتك»^(١١٨).

وقال عليه السلام: «صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما: التقى والإخلاص»^(١١٩).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله عبداً عاملوه بخالص من سره، فعاملهم بخالص من بره، فهم الذين تُمَرَّصهم يوم القيامة فرغاً، وإذا وقفوا بين يديه تعالى ملأها من سر ما أسروا إليه...»^(١٢٠).

التواضع يسبب الرفعة

قال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»^(١٢١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنك إن تواضعت رفعتك الله»^(١٢٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه»^(١٢٣).

وقال عليه السلام: «التواضع أصل كل خير نفيس ومرتبة رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لَنُطِقَ عن حقائق ما في مخفيات العواقب، والتواضع ما يكون في الله والله، وما سواه مكر، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عبادته، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماء من الملائكة وأهل الأرض من العارفين، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا بِسِيمَاهُمْ﴾»^(١٢٤) وأصل التواضع من جلال الله وهيبته وعظمته، وليس لله عز وجل عبادة يقبلها ويرضاها إلا وبها التواضع، ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون المستقلون بوحدانيته، قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ

^(١١٧) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ٤٨٣ ب ٢٣ ضمن ح ٥٢٢٥.

^(١١٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٩٧ ق ٢ ب ٢ ف ٧ ح ٣٩٠٠.

^(١١٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ ح ٢٩١٤.

^(١٢٠) عدة الداعي: ص ٢٠٧ ب ٤ ق ٣ معاودة الدعاء وملازمته مع الإجابة وعدمها...

^(١٢١) أمالي الطوسي: ص ١٨٢ المجلس ٧ ضمن ح ٣٠٦.

^(١٢٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٤٩ ق ٣ ب ٢ ف ٢ ح ٥١٦٢.

^(١٢٣) الكافي: ج ٢ ص ١٢٢ باب التواضع ح ٢.

^(١٢٤) سورة الأعراف: ٤٦.

الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا^(١٢٥) وقد أمر الله عز وجل أعز خلقه وسيد بريته محمداً ﷺ بالتواضع؛ فقال عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٢٦) والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء، ولهن لا يأتين إلا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تعالى^(١٢٧).

العدل: ميزان الله

قال رسول الله ﷺ: «أحب الناس يوم القيامة وأقربهم إلى الله مجلساً إمام عادل، إن أبغض الناس إلى الله وأشدّهم عذاباً إمام جائر»^(١٢٨).

وقال أمير المؤمنين ﷺ: «إن العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه»^(١٢٩).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشمرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه»^(١٣٠).

التعقل والتواصي به

قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل، تعرفوا به ما أمرتم به ونهيتم عنه، وأعلموا أنه محذركم عند ربكم، وأعلموا أن العاقل من أطاع الله...»^(١٣١).

وقال رسول الله ﷺ في جواب شمعون بن لاوي بن يهودا من حوار عيسى عليه السلام حيث قال: أخبرني عن العقل ما هو، وكيف هو، ما يتشعب منه وما لا يتشعب، وصف لي طوائفه كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن العقل عقال من الجهل، والنفس مثل أحبث الدواب، فإن لم تعقل جارت فالعقل عقال من الجهل، وإن الله خلق العقل فقال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أعظم منك، ولا أطوع منك، بك أبدأ وبك أعيد، لك

^(١٢٥) سورة الفرقان: ٦٣.

^(١٢٦) سورة الشعراء: ٢١٥.

^(١٢٧) بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٢١ ب ٥١ ح ١٢.

^(١٢٨) روضة الواعظين: ج ٢ ص ٤٦٦ مجلس في ذكر وبال الظلم.

^(١٢٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٩٩ ق ١ ب ٣ ح ١٦٩٦.

^(١٣٠) الكافي: ج ٢ ص ١٤٥ باب الإنصاف والعدل ح ٥.

^(١٣١) المهجة البيضاء: ج ١ ب ٧ ص ١٧٠.

الثواب وعليك العقاب»^(١٣٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «العقل يهدي وينجي والجهل يغوي ويردي»^(١٣٣).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

كلمة الناشر	٢
جهاد النفس: الجهاد الأكبر	٤
بين متاع الدنيا والآخرة	٤
الله بشر أهل العقل	٧
تحرير النفس من أسر الهوى	١٣
بين الصمت المطلوب والصمت المبغوض	١٥
القنوت بدعاء أبي حمزة	١٥
القرآن الكريم والقنوت به	١٦
موسوعتان عظيمتان	١٦
بين اللذتين: المادية والمعنوية	١٨
مع المؤلف الكبير: الشيخ البلاغي	١٩
من أسباب قوة غاندي	٢١
الإنسان والمعرفة	٢٢

^(١٣٢) مستدرک الوسائل: ج ١١ ص ٢٠٩ ب ٨ ح ١٢٧٦٢.

^(١٣٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥١ ق ١ ب ١ ف ٤ ح ٣٦٢.

الفكر والتفكير	٢٣
من عجائب صنع الله	٢٤
العقل والتعقل	٢٤
من هدى القرآن الحكيم	٢٦
من هدى السنة المطهرة	٢٨
الفهرس	٣١

